القبة الخضراء

مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم

تأليف

الشريف أحمد محمد صالح الحسيني

١٤٠١هـ - ١٩٨١م

الناشر

مكتبة دار العروبة بالكويت

النقرة ــ شارع ابن خلدون ــ قرب النادى الكويتى للمعوقين
برقيا : دار عروبة ــ الكويت
ص. ب : ٢٦٢٢٣ الصفاة
هاتف : ٥٦٤٦٢٦

يطلب فى القاهرة من

« دار الفصحى »

إمبابة ــ ميدان خالد بن الوليد (الكيت كات) ــ شارع السودان
عمارة الأوقاف ــ الدور الثانى ــ شقة (٢)

الفهرس

الصفحة

الفهرست

الفهرست

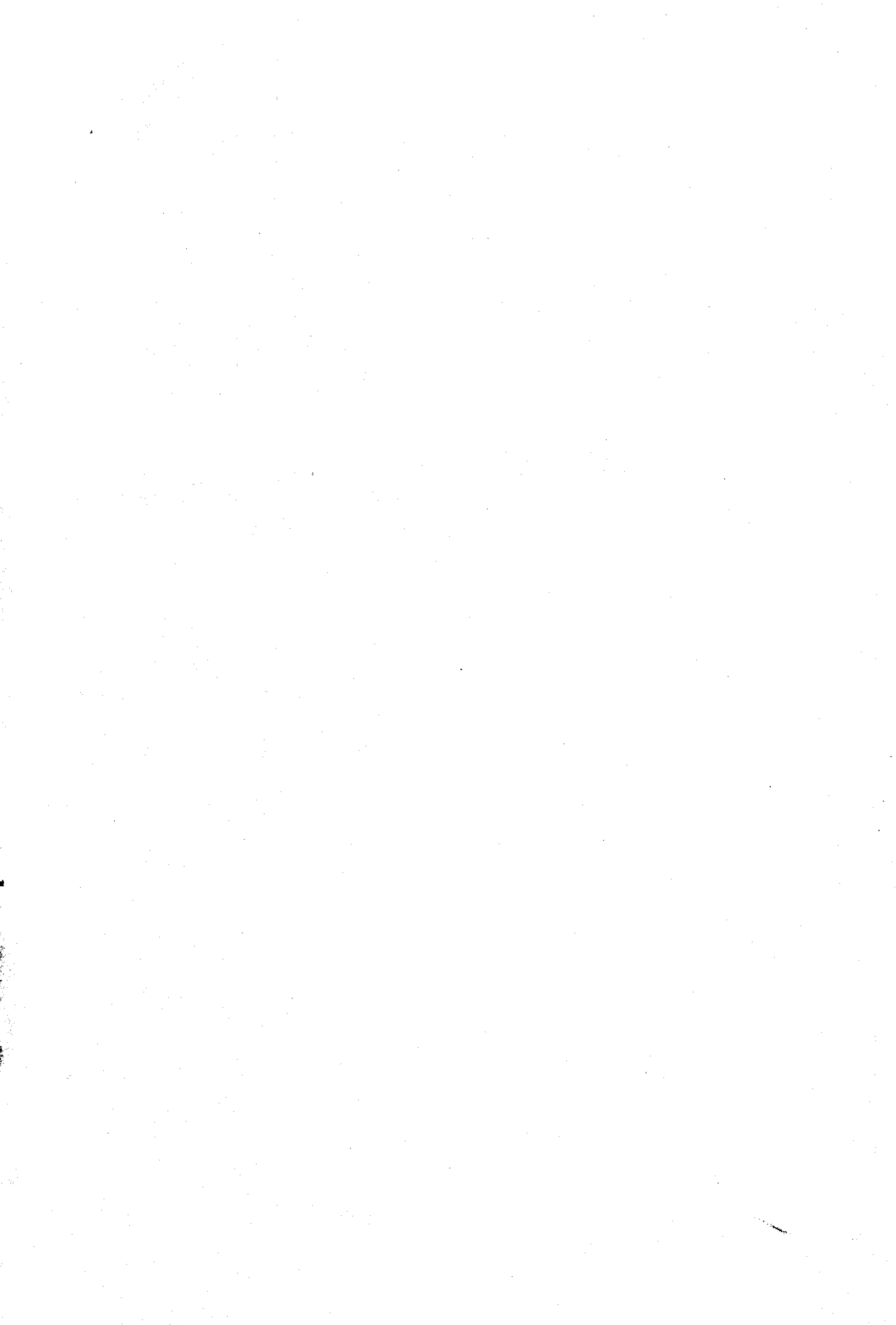
الصفحة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله وصلّى الله على سيدنا محمدٍ وآله .

عزيزى القارئ :

بين يديك كتابى هذا راجياً أن أكون قد وُفقت فى إخراجه . رسالةٌ صغيرةُ الحجم تبحث فى تاريخ بناء المسجد النبوى ، وأطوار بنائه من نشأته الأُولى حتى يومنا هذا . وقد دفعنى للكتابة عنه ما لاحظتُه من اهتمام كثيرٍ من زُوار المسجد ورُوّاد المكتبات . فقد كنتُ قبل عشر سنوات أميناً بمكتبة المدينةِ العامة بالمدينة المنورة ، فلمستُ من كثيرٍ ممن يزورون المكتبةَ ويتحدثون معى مِن علماءَ ومثقفين وغيرهم الرغبة فى كتابٍ خاصٍّ ببحثِ أطوار بناءِ المسجد الكريم . وأكثرُ ما شوّقنى إلى الكتابة التعبيرُ عمّا أكنّه وأحسّ به نحو هذه الأرض المقدسة التى أسّس فيها رسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أولَ حكومةٍ ، وجعلها نقطةَ انطلاقٍ لدعوته . فمِن رحاب هذا





المسجد بدأَت الدعوةُ النبوية ، واستمر الانطلاق فى نموه حتى بلَغ الذروةَ ، وصارت المدينةُ ليلُها كنهارها ، وكانت لها ولمسجدها الخالد تلك المكانةُ الخاصةُ فى نفوس المسلمين . لهذا رأَيتُ لزاماً علىّ أَن أَبحثَ وأَقدم للقارئ المسلم أَطوارَ بناء هذا المسجد . وفى الختام أَسأَل اللهَ القبول .

المؤلف

فضل المسجد النبوى

جاءَ فى الصحيحين أَن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال : لا تُشد الرِّحالُ إلا إلى ثلاثة مساجدَ، مسجدى هذا ، والمسجدِ الحرام ، والمسجدِ الأَقصى[١] .

وفى صحيح مُسلم أَن رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلم قال : صلاةٌ فى مسجدى هذا خيرٌ من أَلفِ صلاةٍ فى غيره من المساجد ، إلا المسجدَ الحرام[٢] . وفيه كذلك أَن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال : إنى آخرُ الأَنبياء وإن مسجدى آخرُ المساجد[٣] . وفى روايةٍ عن أُمِّ المؤمنين عائشةَ رضى الله عنها أَن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

أَنا خاتم الأَنبياء . . . ومسجدى خاتم مساجد الأَنبياء ، أَحق المساجد أَن يزار وتركب إليه الرواحل . صلاةٌ فى مسجدى هذا أَفضل من أَلف صلاة فى ما سواه ، إلا المسجد الحرام .

وجاءَ فى مسند الإمام أَحمد من حديث أَبى مالكٍ سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه قال : اختلف رجلان على عهد رسول الله

---

(١) البخارى ، كتاب فضل الصلاة فى مسجدى مكة والمدينة ، باب فضل الصلاة فى مسجدى مكة والمدينة ، ج ٢ ص ٧٦ . ومسلم ، كتاب الحج ، باب سفر المرأة مع محرم ، ص ٩٧٦ .

(٢) السابق ص ١٠١٢ .

(٣) السابق ص١٠١٣ . وآخر المساجد يعنى آخر المساجدالمشهود لها بالفضل ، المسجد الحرام ، أول بيت وضع للناس ، والمسجد الأقصى ، ثم مسجد رسول الله صلىالله عليه وسلم.

صلى الله عليه وسلم فى المسجد الذى أُسس على التقوى ، فقال أَحدُهما هو مسجدُ الرسول، وقال الآخرُ : هو مسجدُ قُباء ، فأَتيا النبيَّ صلى الله عليه وسلمَ فسأَلاه فقال : « هو مسجدى هذا »[1] .

وفيه من حديث سهل أَيضاً ، قال : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إِذا سُئل عن المسجد الذى أُسس على التقوى قال : « هو مسجدى »[2] .

حـــديث الأربعين

جاءَ فى مسند الإِمام أَحمد بن حنبل رحمه الله من حديث أَنس بن مالكٍ أَن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ صلَّى فى مسجدى أَربعينَ صلاةً لا تفوتُه صلاةٌ كُتبت له براءَةٌ من النـار ، ونـجاةٌ من العذاب ، وبَرِىءَ من النفـاق »[3] .

روضة مــن الجنـــة

جاءَ فى الصحيحين عن عبدِ الله بن زيد المازنى رضى اللهُ عنه أَن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما بين بيتى ومِنبرى روضةٌ من رياض الجنة» . وزادا من حديثِ أَبى هريرةَ رضى الله عنه « ومِنبرى على حَوْضى »[4] . وفيهما من حديث ابن عمرَ رضى الله عنهما أَن

---

(١) ج ٥ ص ٣٣١ (الميمنية) .

(٢) ج ٥ ص ٣٣٥ ، (الميمنية) .

(٣) المسند، ٣ ١٥٥ . (الحلبى) .

(٤) البخارى ، كتاب فضل الصلاة . . . ، باب فضل ما بين القبر والمنبر ج ٢ ص ٧٧ . ومسلم ، كتاب الحج ، باب ما بين القبر والمنبر ، ص ١٠١٠ .

رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما بين قبرى ومنبرى روضةٌ من رياض الجنة »[1] . وبه عن جابر بن عبد الله الأنصارى رضى الله عنهما قال : « ما بين حجرتى إلى منبرى روضة من رياض الجنة. وإن منبرى على ترعةٍ من تُرع الجنة »[2] .

المسجد النبــوى حــرم

روى الإمامُ مسلمٌ رحمه اللهُ فى صحيحه أَن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال : اللهم إنَّ إبراهيمَ حَرَّم مكةَ . . . فجعلها حَرَماً ، وإنى حَرمتُ المدينة حراماً ما بينَ مَأزِمَيْها ، أَن لا يُهَراقَ فيها دمٌ ، ولا يُحملَ فيها سلاحٌ لقتال ، ولا تُخبطَ فيها شجرةٌ إلا لعَلْفٍ . اللهمّ باركْ لنا فى مدينتنا ، اللهم باركْ لنا فى صاعنا ، اللهم باركْ لنا فى مُدِّنا . . . اللهمّ اجعلْ مع البركةِ بركتين .

ثم قال صلى اللهُ عليه وسلم : « والذى نفسى بيده ما من المدينة شِعْبٌ ولا نَقْبٌ إلا عليه مَلَكان يحرسانها . . . »[3] وفى الصحيحين أَيضاً أَن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « على أَنقابِ المدينةِ ملائكةٌ ، لا يدخلُها الطاعونُ ولا الدجّال »[4] .

---

(١) وانظره فى مسند أحمد ٣ : ٦٤ ، (الميمنية) .

(٢) السابق فى مواضع كثيرة ، منها ٢ : ٣٦٠ ، ٣ : ٣٨٩ ، ٤ : ٤١ ، ٥ : ٣٣٥ .

(٣) كتاب الحج ، باب الترغيب فى سكنى المدينة ، ص ١٠٠١ .

(٤) البخارى ، كتاب فضائل المدينة ، باب لا يدخل الدجال المدينة ج ٣ ص ٢٨ . ومسلم ، كتاب الحج ، باب صيانة المدينة ، ص ١٠٠٥ .

الصبر على الشدة بالمدينة وحرمة أهلها

جاءَ فى صحيح مُسلم أَنّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قال : « لا يصبرُ على لأَواءِ المدينة وشدَّتها أَحدٌ من أُمتى إلاَّ كنتُ له شفيعاً يومَ القيامة أَو شهيداً »[١] . وزيدَ فى إحدى رواياته : « ولا يريدُ أَحدٌ أَهلَ المدينةِ بسوءٍ إلا أَذابَه اللهُ فى النار ذَوْبَ الرصاصِ أَو ذَوْبَ المِلح فى الماءِ »[٢] .

آداب المسجد النبوى

مِن ذلك عدمُ رَفْع الصوت فيه ، لأَن ذلك يُعد من رفع الصوت على النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد نهى اللهُ المؤمنين عن ذلك . قال تعالى : « يأَيّها الذين آمنوا لا ترفعوا أَصواتكم فوق صوتِ النبىّ ولا تَجْهروا له بالقول كجهر بعضِكم لبعض أَنْ تَحْبَطَ أَعمالُكم وأَنتم لا تشعرون » . (الحجرات : ٢) . بهذه الآيةِ الكريمة وأَمثالها علَّم اللهُ هذه الأُمةَ كيف تحترمُ نبيها ، وأَنّ سوءَ الأَدب معه صلى الله عليه وسلم ذنبٌ عظيم . كيف لا وقد جعل اللهُ عقابَ مسيءِ الأَدب مع نبيه إحباطَ عملِه ، وهو كعقاب الشرك بالله .

فقد قال اللهُ تعالى فى مُحْكَمِ كتابه الذى لا يأْتيه الباطلُ من بين يديه ولا مِن خلفه مخاطباً عباده : « لئِنْ أَشركتَ لَيَحْبَطَنَّ

---

(١) كتاب الحج ، باب الترغيب فى سكنى المدينة ص ١٠٠٤ .

(٢) السابق ، باب فضل المدينة ص ٩٩٣ .

عملُكَ ، ولَتكونَنَّ من الخاسرين » . (الزمر : ٦٥)[١] .

أَما تمامُ آيةِ الأَدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو قولُه تعالى : « إن الذين يغضُّون أَصواتَهم عند رسولِ الله ، أَولئك الذين امتحنَ اللهُ قلوبَهم للتقوى ، لهم مغفرةٌ وأَجرٌ عظيم » . (الحجرات٣).

انظر أَيها المؤمنُ كيف جعل اللهُ ثوابَ أَهل الأَدب مع رسوله أَن جَعل قلوبهم مكانَ التقوى . ووعَدهم بالمغفرة وأَجر الدنيا والآخرة . وفَّق اللهُ كلَّ مؤمن ومؤمنة للأَدب مع الله ومع نبيه على الصفة التى ترضى اللهَ ورسوله .

ومن آداب المسجدِ النبوى تجنيبُه الصبيان والمجانين ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « جنّبوا مساجدَكم صبيانَكم ومجانينَكم وشراءَكم وبيعكم ، وخصوماتِكم ، ورفعَ أَصواتِكم ، وإقامةَ حدودكم ، وسَلَّ سيوفكم ، واتّخذوا على أَبوابها المطاهر ، وجمّروها فى الجُمع »[٢] .

وأَمرُ المصطفى صلوات الله وسلامه عليه فى تجنيبها الصبيانَ والمجانينَ ظاهر ، لأَن كلا الصنفين لا يعقلون . فالأَول لا يَعقلُ بفطرته . والثانى لا يَعقلُ لفقدان عقله . وكلاهما يَعمل مالا يُستحسن فى المساجد . أَما البيعُ والشراءُ فإِن مكانَه الأَسواقُ لا المساجد ، كما

(١) وانظر أيضاً قوله تعالى : « أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم » . الكهف : ١٠٥ .

(٢) سنن ابن ماجه ج ١ ص ٢٤٧ .

هو معلوم . وإنما المساجدُ بيوتُ الله ، بُنيت لعبادته . كما أن رفعَ الصوت لا يُستحسن فى أى مسجد كان . كيف لا وهذه المساجدُ منسوبةٌ إلى الله المستحقّ لجميع المحامد والآداب الكريمة . أما السلاحُ فإن حَمْلَه ودخولَه المساجدَ مخوفٌ ، والمساجدُ محلّ أَمنٍ لأَنها بيوتُ الله ، ولها عظمتُها عند كل مَن آمن بمن نُسبت إليه .

أَمّا تجميرُ المساجد فمن المعلوم أَن كلاًّ منا يحبُّ إذا دخل داره أَن يشمَّ رائحةً زكية ، ومساجدُ الله أَحقُّ بذلك ، والعملُ بهذه السنة باقٍ والحمدُ للهِ حتى يومِنا هذا .

ففى كلّ جمعةٍ يقومُ أَحدُ أَغوات الحرم بحَمل مجمرةٍ ضخمة لتجمير المسجد النبوى الشريف بالعود الهندى . أَمّا جَعْلُ المطاهر على أَبواب المساجد فالغرضِ منه تيسير النظافة والتطهر ، وأَن يكون الماءُ فى متناول يد من أَراد الصلاة فى أَى مسجد كان .

ومن آداب المسجد النبوى ، وكلِّ مسجدٍ ، وجوبُ تنزيهه عن البصاق ، فقد صحّ عن النبي صلى الله عليه وسلم أَنه قال : البصاقُ فى المسجدِ خطيئةٌ ، وكفَّارتُها دفنها » [١] .

والحكمةُ هنا ظاهرة . إنَّ أَحدنا لا يَرضى أَن يَرى فى داره ذلك لعدم رضاءِ النفس المهذبة به . ومسجدُ النبي صلى الله عليه وسلم ، وسائرُ المساجد أَحق بذلك لمن كان مؤمناً بعظمة بيوت الله .

---

(١) النسائى ج ٢ ص ٥١ .

ولقد غضِبَ النبيُّ صلواتُ الله عليه وسلامُه لَمّا رأى النُّخامةَ فى المسجد . فقد جاءَ فى ابن ماجةَ عن أَنس بن مالكٍ رضى الله عنه أَن النبي صلىّ اللهُ عليه وسلَّم رأَى نُخامةً فى قبلةِ المسجد فغضبَ حتَّى احمرَّ وجهُه فجاءَته امرأَةٌ من الأَنصار فحَكَّتها وجَعَلتْ مكانَها خَلوقاً، فقال رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلَّم « ما أَحسنَ هذا »[١] .

ومن آداب المسجد النبوى أَن لا يُخرج أَحدٌ من حصبائه شيئاً لِمَا رَوى أَبو داود من حديث أَبى هريرةَ رضى الله عنه أَن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : « إِن الحصاةَ لَتناشدُ الذى يُخرجها من المسجد »[٢] . ولا عجبَ فقد قال الله سبحانه وتعالى . « وإِنْ مِن شىءٍ إِلا يسبِّحُ بحمده ولكنْ لا تفقهون تسبيحَهم » (الإسراء:٤٤) . فالذى أَلهم الأَشياءَ ذكرَه قادرٌ على إِلهام الحصى مناشدةَ حامِلِها أَن لا يخرجَها من المسجد .

ومن آداب المسجد النبوى ، وكل مسجد ، أَن لا يَنْشُدَ أَحدٌ ضالَّتَه فيه . لما رواه ابن ماجة عن أَبى هريرة أَن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من سمعَ رجلاً يَنْشُد ضالَّةً فى المسجد فليقلْ : لا ردّ اللهُ عليك . فإِن المساجد لم تُبْنَ لهذا »[٣] والذى يظهرُ – واللهُ أَعلم -

(١) وانظره أيضاً فى النسائى ج ٢ ص ٥٢ ، ٥٣ .
(٢) سنن أبي داود ج ١ ص ١٢٥ .
(٣) ج ١ ص ٢٥٢ .

من هذا الزجر للناشد استنكار رفعِ الصوت فى المسجد لأَن ذلك داخلٌ فى رفع الصوت فوق صوت النبي ، فضلاً عن إِزعاجِ المصلين .

أَمّا النوم فى المسجد فقد أَجازه العلماءُ ، لما فى الصحيح من أَن عبد الله بنَ عمر رضى الله عنهما كان ينامُ وهو شابٌّ أَعزبُ لا أَهلَ له فى مسجد النبي صلى الله عليه وسلم[(١)] . ولإِقامة أَهل الصُّفّة فيه كما هو معلوم . واللهُ أَعلم .

قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة

رَوى مسلمٌ فى صحيحه حَدَّثنا يحيي بنُ يحيي وشيبانُ بن فَرّوخ كلاهما عن عبد الوارثِ قال يحيي أَخبرنا عبدُ الوارث بنُ سعيدٍ عن أَبي التَّيّاحِ الضُّبَعى حدثنا أَنسُ بنُ مالكٍ ـ رضيِ الله عنه ـ أَن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قدِمَ المدينةَ فنزلَ فى عُلْوِ المدينةِ فى حيّ يُقال لهم بنو عمرو بنِ عَوْفٍ ، فأَقام فيهم أَربَع عشرةَ ليلةً . . . »[(٢)] .

نزول رسول الله صلوات الله عليه إلى منازل بنى النجار

وعن أَنسٍ قال « . . . أَرسلَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى ملإٍ من بنى النَّجار فجاؤا متقلدين سيوفَهم فقال أَنس : فكأَنّى أَنظرُ

(١) البخارى ، كتاب الصلاة ، باب نوم الرجال فى المسجد ج ١ ص ١٢٠ .
(٢) كتاب المساجد ، باب ابتناء مسجد النبى صلى الله عليه وسلم ص ٣٧٣ .

إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلته وأَبو بكرٍ ردْفُه وملأُ بنى النّجار حولَه حتى أَلقى [أَى رَحلَه] بفناء أَبى أَيوبَ »[١] .

ما أَعظمه من منظر رائع ! وما أَعظم الصبرَ ! فقد صبَر المصطفى على إيذاءِ كفار قومه وبقية العرب عشرَ سنواتٍ وهو يدعوهم إلى الله فلم يلبِّ إلا قلةٌ . وصدق الله تعالى حيث يقول إنه مع الصابرين .

وفى الحديث السابق أَيضاً : أَن رسولَ الله كان يصلِّى حيث أَدركتْه الصلاةُ ويصلّى فى مرابض الغنم . وفى البخارى ومسلم كان يصلى فى مرابض الغنم قبل أَن يبنى المسجد[٢] .

اهتمام رسول الله صلى الله عليه وسلم ببنـــاء مسجـده

قال أَنسٌ فأَرسل رسول الله صلوات الله وسلامه عليه إلى ملإٍ بنى النجار فجاءوا فقال : « يابنى النجار ثامنونى بحائطكم هذا — [أَى مكان مسجده] — قالوا لا والله لا نطلبُ ثمنَه إلا إلى الله . قال أَنسٌ فكانَ فيه ما أَقول : كان فيه نخل وقبورُ المشـــركين وخِرَبٌ ، فأَمرَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالنخل فقُطع ، وبقبور المشركين فنُبشتْ ، وبالخِرَب فسُوّيتْ . وبهذا صارت هذه الأَرضُ مهيأَةً للبناءِ .

---

(١) سنن أبى داود ج ١ ص ١٢٣ .

(٢) البخارى ، كتاب الصلاة ، باب الصلاة فى مرابض الغنم ج ١ ص ١١٧ . ومسلم ، كتاب المساجد ، باب ابتناء مسجد النبى صلى الله عليه وسلم ص ٣٧٣ .

والأَصح فى شراءِ أَرض المسجد أَن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم طَلب من أَسعد بنِ زُرارة أَن يبيعه أَرضاً متصلةً بمسجد أَرض صغيرة كان أَسعدُ بنُ زرارة الذى هو من بنى النجار ونقيبُ نقبائهم يصلّى فيه بمن يليه من المسلمين ، وكان رسولُ الله صلوات الله عليه يصلى فيه أَول قدومه مؤقتاً ، وكان من عريش النخل .

ومن المعلوم أَن أَسعدَ بنَ زرارة ممن حضر بيعة العقبة . وأَن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قد أَرسلَ إلى أَهل المدينة ابن أُم مكتوم قبل هجرته إِليهم ليفقهَهم فى دينهم .

وكانت تلك الأَرضُ التى طَلب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم شراءَها تحت يد أَسعد ، ليتيمين فى حِجْره يُقال لهما سَهْلٌ وسُهيل فطلب أَسعدُ لرسول الله صلى الله عليه وسلم أَن يتخذها مسجداً فأَبى الرسول الكريمُ أَخذَها إلا بدفع الثمن[١] .

البدء فى تأسيس المسجد فى المرة الأولى بتوجيه من نبى الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم

أَمرَ الرسولُ الأَعظم صلى الله عليه وسلم باتخاذ اللَّبِن فاتُّخذ . وأُسس المسجدُ بالحجارة وجُعلَتْ جدرانُه من اللبن ، وسقفُه من الجريد

---

(١) فى منزل الوحى : ص ٤٤٨ .

وأَكثره غيرُ مسقوف . وجُعلَت عُمده مِن جذوع النخل ، وعَمِل فيه بيده الشريفةِ هو وصحابتُه رضى اللهُ عنهم .

أَما كيفيةُ البناء الهندسية فقد كان بناؤه لبنةً ونصفَ أُخرى ، أَى ما يُسمى اليومَ طوبةً ونصف . وأَمّا ارتفاعُ الأَساس الذى بالحجارة عن الأَرض فثلاثةُ أَذرعٍ وما فوق ذلك فهو اللَّبِن .

وظل سقفه بالجريد ثم بالخصف ، فلمّا وكف عليهم أَى خر عليهم فى الأَمطار طيّنوه بالطين . جاءَ فى المراغى عن ابن النجار : لما سُئل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن سر بنائه لمسجده بالصِّفة المذكورة أَجاب بقوله : « عريشٌ كعريش موسى ، وخشيبات ، والأَمرُ أَعجلُ من ذلك[1] .

والذى يظهرُ أَن أَصحابه رضوانُ الله عليهم كلَّموه فى أَن يقوّى بناءَ مسجده بما هو أَعظم من ذلك فأَجابهم بجوابه آنف الذكر.

أَما طولُ جدار المسجد فهو قامةٌ ، وقِيل يزيد شبرا ، فكان إِذا أَفاءَ الفيء ذراعاً ، وهو قدمان ، يُصَلّى الظهر ، فإِذا كان الفيءُ أَربعة أَقدام صُلّى العصر .

---

(١) انظر « الحاوى للفتاوى » للسيوطى ج ٢ ص ٧٦ ، وما بعدها ، وكذلك « فى منزل الوحى » ص ٤٤٨ .

مساحة المســجد فى المرة الأولى

جاءَ فى كتاب « منزل الوحى » للأُستاذ محمد حسين هيكل أَن المسجدَ النبوىّ كانت مساحتُه فى بنائه للمرة الأُولى خمسةً وثلاثين متراً فى ثلاثين . وجاءَ كذلك فيه أَن ناحيةً من المسجد خُصصت لإِيواءِ الفقراء الذين لا يملكون مسكناً . ومن المعلوم أَنهم الذين سُمّوا فيما بعدُ بأَهل الصفة . وصدق اللهُ العظيم فى قوله تعالى « لقد جاءَكم رسولٌ مِن أَنفسكم ، عزيزٌ عليه ما عَنِتُّم ، حريصٌ عليكم ، بالمؤمنين رؤوفٌ رحيم » . (التوبة : ١٢٨) . ولم تَزَل تلك الجهةُ قائمةً حتى اليوم ، وتُعرف اليوم بدكة الأَغوات . والله أَعلم .

القبلة توضع بتوجيه من النبى صلى الله عليه وسلم ومن جبريل عليه السلام

لَمّا بَنى رسولُ الله مسجدَه عند قدومه المدينة كما أَسلفنا كانت قبلةُ مسجده إلى بيت المقدس ، وكان للمسجد ثلاثةُ أَبواب ، بابٌ بالجهة الغربية يُدعى بابَ عاتكة ، وهو باب الرحمة . وبابٌ بالجهة الشرقية دُعى بابَ عثمان فيما بعد ، وهو بابُ جبريل ، وبابٌ بالجهة الجنوبية بحذاء القبلة إلى بيت المقدس .

ثم أَراد اللهُ سبحانه تحويلَ القبلة إلى البيت العتيق ونزلَ قولُه

تعالى « قد نرى تقلّبَ وجهكَ فى السماءِ فلنُولِّينَّكَ قِبلةً ترضاها ، فولّ وجهَكَ شَطْرَ المسجدِ الحرام ، وحيثُ ما كنتمْ فولُّوا وجوهَكم شطره » . (البقرة : ١٤٤) .

فلمّا أَراد النبيُّ صلى الله عليه وسلم أَن يتحولَ إلى القبلة التى أُمر بالتوجه إليها ، وكان يَهْوَى التوجهَ إليها من قبل ، أَقام رهطاً على زوايا المسجد ليعدل القبلة فأَتاه جبريلُ عليه السلام وكَشف له عن الكعبة بإزالة الجبال والشجر والأَشياء التى تحولُ دون رؤية الكعبة . وقال : يا رسولَ الله ضع القبلة وأَنت تنظر . فوضع رسول الله أسس القبلة وهو ينظرُ إلى الكعبة لا يَحُولُ دون نظره شيءٌ ، فلما فَرَغ قال جبريلُ عليه السلام : هكذا .

فأَعاد الجبالَ والشجرَ والأَشياءَ على حالها . فصارت قبلتُه إلى الميزاب . ولما تمّ تحويلُ القبلة على النعت المذكور سُد الباب الجنوبى ووُضعت القبلةُ مكانه .

بناء المسجد فى المرة الثانية بتوجيه من الرسول صلى الله عليه وسلم

بقى بناءُ المسجد ستةَ أَعوام إلى أَن غزا رسولُ الله صلوات الله

وسلامه عليه خيبرَ ، وكان ذلك فى السنة السابعةِ من الهجرة وكانت المدينةُ خالصةً لهم وأَهلُها قد ازدادوا بمن سَكَنها ممن هداهم الله للإسلام ، فقال الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورضوان الله عن صحابته الذين أَعز الله بهم دينه : يارسولَ الله لو زِيدَ فى هذا المسجد ، فلبّى لهم ذلك .

الشكل الهندسى للبناء فى المرة الثانية

كان البناء للمرة الثانية بشكل مربع ، وزيد فيه حتى صار مائة متر مربع . وفى رواية : خمسين فى خمسين . ولكنه لم يُغير شكلُ بنائه ، بل كان البناءُ أَيضاً باللبِن والجريد وجذوع النخل ، إلا أَن البناء فى هذه المرة بالذكر والأُنثى أَى بلبنتين مختلفتين .

ثم قَبْل وفاته بأَبِى هو وأُمى تمنى لو أَنه زاد فى مسجده من ناحية القبلة ، كما جاءَ ذلك فى كتاب تحقيق النصرة للمراغى نقلا عن ابن زبالة أَن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوماً وهو فى مصلاه : « لو زدنا فى مسجدنا » ، وأَشار بيده الكريمة نحو القبلة .

غير أَنه توفى بأَبِىَ هو وأُمى والمسجدُ على حاله .

أبو بكر الصديق رضى الله عنه والمسجد النبوى

لم يزد أَبو بكر فى المسجد شيئاً لأَمرين ، قِصر المدة واشتغالِه بحروب أَهل الردة . ثم تولَّى الخلافةَ عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه ، وكان يقول : ينبغى أَن نزيد فى المسجد ، ولولا أَنى سمعتُ رسولَ الله يقول ينبغى أَن نزيد فى مسجدنا ما زدت »[(١)] .

زيادة الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، بتوجيهه فى السنة السادسة عشرة من الهجرة

كانت زيادةُ الخليفة عمرَ فى المسجد النبوى من الناحية القبلية وكانت دارُه هو نفسه بالقبلة ، وكذلك دارُ العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه . فأَراد عمرُ شراءَها فامتنع العباسُ عن بيعها ، إِلا أَنه تصدَّق بها على المسلمين ، فأُدخلتْ فى تَوْسعةِ المسجد . وكانت موضعَ الأَسطوان المربع التى تلى دارَ مروان بن الحكم .

مقدار زيادة عمر

أَما مقدارُ زيادةِ عمر من الناحية الجنوبية كما تقدم فهى خمسةُ أَمتار . ونُقلتْ إِليها القبلةُ وزيد نحوُ ذلك من الناحية

---

(١) انظر « فى منزل الوحى » ص ٤٥٠ .

الغربية . كما زيد خمسةَ عشرَ متراً من الناحية الشمالية . ولم يُزَدْ من الناحية الشرقية ، إذْ كانت بها بيوتُ أمّهات المؤمنين . وكنّ ما يزلن يُقمن فيها . وفى بيت عائشةَ منها قبرُ النبى صلى الله عليه وسلم ، وقبرُ أبى بكرٍ رضى الله عنه . وقد دخلت دارُ أبى بكر فى هذه الزيادة لوقوعها فى الناحية الغربية . ويُقال إن دارَ أبى بكر رضى الله عنه التى بالناحية الغربية خرجتْ مِن ملكه فى حياته حين احتاج إلى شىءٍ يعطيه الوفود ، فباعها حفصةَ بنتَ عمر أم المؤمنين رضى الله عنها بأربعةِ آلافِ درهم ، وإن جزءاً منها أُدخل فى زيادةِ المسجد أيامَ عُمر ، وأُدخل جزءٌ منها فى أيام عثمان .

الشكل الهندسى فى زيادة عمر

لم يُحْدث عمرُ بن الخطاب حين أنشأ هذه الزيادة فى عمارة المسجد النبوى أكثر من أنه زاد فى رقعته كما تقدم وزاد فى عدد أبوابه .

فقد بنى الجدران كما بناها رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبلُ ، وجَعل الأَساسَ من الحجارة وما فوقه من اللبِن ، والعُمدَ من الخشب ، والسقفَ من الجريد .

الأبواب فى زيادة عمر

جَعل للمسجد ستةَ أَبواب ، اثنين منها فى الجهة الغربية يحاذيان باب الرحمة وباب السلام الحاليين ، واثنين فى الجهة الشرقية يحاذيان بابَ جبريل وبابَ النساء ، وبابين فى الجهة الشمالية غُيِّرا من بعدُ فى الزيادات التى أُحدثت (راجع فى منزل الوحى) .

تجديد المسجد النبوى فى عهد الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه بتوجيهه

ولما آلت الخلافةُ إلى عثمان بن عفان رضى الله عنه سنةَ أَربعٍ وعشرين من الهجرةِ كلَّمه الناسُ فى أَن يزيدَ فى المسجد النبوى ، وشكوْا إليه ضيقَه يومَ الجمعة ، فشاور أَهلَ الرأْى من الصحابة فى ذلك فأَجمعوا على أَن يهدمَه ويزيدَ فيه . فصعد عثمانُ المنبرَ ليُعْلِمَ الناسَ فقال بعد أَن حمِد اللهَ وأَثنى عليه وصلى على نبيه : أَيها الناسُ إنى قد أَردتُ أَن أَهدم مسجدَ رسول الله وأَزيدَ فيه ، وأَشهدُ لقد سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « مَن بنى مسجداً لله تعالى بنى اللهُ له بيتاً فى الجنة »[1] . وقد كان لى فيه سلف وإمام سبقنى وتقدمنى ، عمرُ بن الخطاب كان قد زاد فيه وبناه ، وقد شاورت

---

(١) مسلم : كتاب المساجد ، باب فضل بناء المساجد ، ص ٣٧٨ .

أَهلَ الرأْى من أَصحاب رسول الله فأَجمعوا على هدمه وبنائه وتوسيعه » .

فحسَّن النـاسُ ذلك يومئذٍ ودعَوْا لـه .

مقدار زيادة عثمان

أَمّا مقدارُ زيادةِ عثمان من الناحية الجنوبية والغربية فهى خمسةُ أَمتار من كل ناحية ، كزيادة عمرَ رضى الله عنهما . وأَمّا الزيادةُ فى الناحية الشمالية فكانت زيادةً دون زيادة عمر . وكانت تزيدُ على ما أَحدثه فى الناحيتين الجنوبية والغربية قرابة الضعفِ من كل هاتين الزيادتين .

الشكل الهندسى لزيادة عثمان

تطوّر عُمرانُ المسجدِ فى زيادة الخليفة عثمان وفى تجديده للمسجد . فهو لم يجدده باللبِن ولم يجعلْ عمدَه من الخشب وسقفَه الجريد ، بل جَعل بنيانَه من الحجارة المنقوشة والقصة ، أَى الجصة ، وجعل عمدَه من الحجارة المنقورة أُدخل فيها حديدٌ وصُبَّ فيها الرصاصُ ، ونَقْشُها من خارجها .

أَمّا سقفهُ فقد جعله من الساج . وتطورَ عثمانُ بهذا البناءِ ، فقد أَحدث فيه فكرةَ المتانة والبقاء . ولم يزد عثمانُ من ناحية المشرق ،

لأَن بيوتَ النبي صلوات الله وسلامه عليه كانت ما تزال قائمة ، وكان من أَزواجِه من لا يزلن يُقمن بها . وكان أَقربَ هذه البيوتِ بيتُ عائشةَ الذى دُفن به رسولُ الله وخليفتاه أَبو بكرٍ وعمر . لذلك لم تكن الحجرةُ النبوية فى المسجد . ولم يكن به موضعٌ معين آنذاك للروضة إلا ما حدده الحديث . وبقى المسجدُ على تجديد عثمان إلى سنة ثمانٍ وثمانين من الهجرة . وذلك مما يدلّ على متانة بنائه فى عهد الخليفة المذكور .

زيادة الوليد للمسجد النبوى تحت إشراف أمير المدينة يومذاك عمر بن عبد العزيز رحمه الله سنة ٨٨ هـ

كان عمرُ بنُ عبد العزيز فى سنة سبعٍ وثمانين ، وقيل ثمان وثمانين ، عاملَ الوليد بن عبد الملك على المدينة . فبَعث الوليدُ إلى عمرَ بمالٍ وقال له : زدْ فى المسجد ، ومَنْ باعك فأَعطه ثمنَه ، ومَن أَبى فاهدم وأَعطه المال ، فإِن أَبى أَن يأْخذه فاصرفه إلى الفقراء .

ومِن ثَمَّ قام عمرُ بنُ عبد العزيز بشراء الدور التى يُراد الزيادة بأَمكنتها ، ما عدا دارَ فاطمةَ الزهراءَ بنتِ محمد صلى الله عليه وسلم ، ورضوانُ الله عليها ، فإِنها كانت يومذاك يسكنها الحسنُ المثنى ، ابن الإِمام الحسن ، سبط الإِمام على ، رضى الله عنهم ، مع زوجته

فاطمةَ بنت الإمام الحسين بن الإمام على ، رضى الله عنهما ، مع ابنهم عبد الله الملقب بالكامل وإخوته . فإنهم امتنعوا عن بيع دارهم ورفضوا قبولَ قيمتها ، ولم يخرجوا منها إلا بعد أن خشُوا على أنفسهم وأبنائهم هدمَ الدار . عند ذلك انتقلوا منها إلى الحرة الغربية ، وتم إخلاء الدار ، وبذلك تهيأَ تنفيذُ أَمر الوليد بن عبد الملك . والحقيقة أن زيادة الوليد هذه كانت لأَمر سياسى . (راجع كتاب « فى منزل الوحى » لمحمد حسين هيكل عند زيادة الوليد ، « وخلاصةَ الوفا » ص ٢٦٦) .

ثم أَرسل الوليدُ بن عبد الملك إلى ملك الروم ، وأَعلمه أَنه يريدُ تعميرَ المسجد النبوى ، وطَلب منه أَن يُعينَه بعمال وفسيفساء ، فأَجابه ملكُ الروم وبَعث إليه بثمانين عاملا وبأَحمالٍ من الفسيفساء وبأَحمال من سلاسل القناديل . والفسيفساءُ عبارةٌ عن أَسلوبِ نقشٍ بيزنطى قديم . وأَصلُه حجارةٌ صغارٌ ملونة تُرص بنظام خاص فى الأَمكنة المرادِ زينتُها ، فتُرسم الصورةُ من الأَشجار أَو الخطوط أَو غير ذلك ، ويَظهرُ هذا الرسم برصّ هذه الحجارةِ الملونة حسب ما يُراد منه . أَما عمالُ الروم الذين قدموا المدينة فقد نزلوا فى شمال المسجدِ النبوى فى المكان المعروف اليومَ بالرومية نسبةً إلى أُولئك العمال بعد نزولهم به .

(الشكل الهندسي للبناء)

قام البناءُ بالحجارة المنقوشة ، فاستُعملت فيه الفسيفساءُ والمرمر ، وفي سقفِه الساجُ وماءُ الذهب . واعتُني بتحسينه حتى كان العاملُ إذا عمِل الشجرةَ الكبيرةَ من الفسيفساء فأَحسنَ عملَها نفله ثلاثين درهما . وكان من جرّاءِ هذه الزيادةِ أَنْ دخل بيتُ الزهراءِ وعائشةَ وغيرهما من أَزواج النبي صلى الله عليه وسلم فى المسجد . وكان أَهلُ المدينة ليس لهم هوىً فى إدخال حجرات النبي فى المسجد .

قال عطاء : حضرت كتابَ الوليد إلى عمر بن عبد العزيز يأْمر فيه بإدخال حُجر أَزواج النبي صلى الله عليه وسلم فى المسجد فما رأَيتُ باكياً أَكثرَ من ذلك اليوم .

وكان سعيد بن المسيب يقول يومذاك : واللهُ لَوددتُ لو تركوها على حالها ، ينشأُ أَناسٌ من أَهل المدينة ويَقدَم القادمُ من الأُفق فيرى ما اكتفى به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى حياته فيكون ذلك مما يُزَهِّد الناسَ فى التكاثر والفخر . وكان ذلك رأْيَ أَبي أَمامةَ الأَنصارى.

قال محمد حسين هيكل : قرر الوليد أَن يُدخل بيتَ الزهراءِ فى المسجد ، لكنه بعد أَن فكر فى الأَمر مليا رأَى أَن يُدخل فيه بيوتَ النبي جميعاً . وكانت هذه البيوتُ ممتدةً من شرق المسجد

حيث الحجرة النبوية متجهة نحو الشمال إلا موضعاً ليس تعيينُه اليوم بالأمر اليسير .

وكانت موضعَ رعايةٍ كبرى من المسلمين فى ذلك العهد . ومنذ خلت كلّها من ساكنيها بعد أن أختار اللهُ عائشةَ أمّ المؤمنين كان الناس يُهرعون لصلاة الجمعة فيها مؤتمّين بإمام المسجد . ثم يحيطونها فيما وراءَ ذلك برعايتهم على اعتبار أنها الآثار التاريخية الباقية للنبي الكريم ولحياته فى المدينة . ولذلك حزنوا أشدَّ الحزن حين علموا بأمر هدمها .

الشكل الهندسى لإدخال الحجرة ضمن المسجد

وفى عمارة الوليد جُعل بنيانُ الحجرة النبوية على خمس زوايا، لئلا يستقيم لأحدٍ استقبالُها بالصلاة .

ذرع المسجد بعد زيادة الوليد

قال ابنُ النجار جَعل عمرُ طولَ المسجد مئتى ذراع، وعرضَه فى مقدمه مئتى ذراع ، وفى مؤخره مئتى ذراع . وقيل إن طوله من القبلة إلى الشام بعد اعتبار جانبيه مئتان وأربعون ذراعاً ، ومن جهة الشام مئة وتسعة وعشرون ذراعاً ، يزيدُ مقدمُه على مؤخره ثلاثةً وثلاثين ذراعاً الجميعُ بذراع المدينة .

الزيادة الطارئة فى عمارة الوليد

مات عثمانُ رضى الله عنه وليس للمسجد شُرفات ولا محرابٌ . فأَولُ مَن عَمل الشرفاتِ والمحرابَ عمرُ بنُ عبد العزيز رحمه الله . ويُقال عَمِلها عبدُ الواحد النصرى . والأَولُ أَصح . كما جُعل للمسجد فى عمارة الوليد أَربعُ منارات ، فى كل ركن واحدة .

أبواب المسجد فى زيادة الوليد

قال المراغى : ولا يُعرف منها إلا ما سنذكره . منها ثمانية من جهة المشرق القبلى .

باب النبيّ صلى الله عليه وسلم . سُمى بذلك لمقابلته بيتَ النبى ، ولأَنه دَخل منه . وقد سُد عند تجديد الحائط ، وجُعل مكانَه شباكٌ مِن خشب تُرى منه حجرةُ النبى من خارج المسجد . وعنده جَعل عمرُ بنُ عبد العزيز مصلَّى الجنائز لمّا مَنع إدخالها المسجد . وهذا المكانُ فى الحائط الخارجى المفروشِ بالبلاط من الناحية الشرقية مِن جهة باب جبريل عليه السلام .

قال المراغى والبابُ الثانى بابُ على رضى الله عنه كان يقابلُ بيته خلف بيت النبي صلى الله عليه وسلم . وقد سُد أيضاً عند تجديد الحائط .

والبابُ الثالثُ بابُ الخليفة عثمانَ بن عفان رضى الله عنه ، ويُعرف الآن بباب جبريل . وقد تقدم ذكرُه .

ويقابل بابَ جبريلَ الدارُ التى هى رباطُ جمال الدين محمد ابن على بن منصور الأصفهانى ، المعروفِ بالجواد وزيرِ زنكى ، وقفه على أبناءِ فارس . ولمّا تُوفى حُمل إلى المدينة ودُفن فى تربته من هذا الرباط . ولهذا الموقف آثارٌ حسنة بالحرمين .

قال المراغى : إن جمالَ الدين هذا أولُ مَن عمل للمدينة سوراً، إلا أنه قال إن هذا السور محدود على ما حول المسجد ، وكان من الحديد المتقن الصنع . وجاء فى « عمدة الطالب » ، أن أولَ مَن عمل سوراً على المدينة هو الأميرُ إسحاق بنُ محمد بن يوسف الجعفرى . ولا إشكال ، لأن المراغى وصفَ سورَ الأصفهانى لحدود المسجد فقط . فيكون سورُ الجعفرى على المدينة بكاملها . واللهُ أعلم .

والبابُ الرابعُ بابُ رَيطةَ ابنةِ العباس السفاح . ويُعرف بباب النساء . وسببُ تسميته بابَ النساءِ هو ما نقله يحيي عن ابن عمر قال : سمعتُ عمرَ حين بنى المسجد يقول : هذا بابُ النساء . فلم يدخلْ منه ابنُ عمرَ حتى لقى اللهَ . وكان لا يمرُّ بين أَيدى النساءِ وهنَّ يصلّين .

وفى أَعلاه مِن خارج الباب لوحٌ من البَلاط مكتوبٌ فيه آيةُ الكرسى . ودارُ رَيطةَ التى سُمى باسمها هذا البابُ كانت قبل رَيطةَ لأَبى بكرٍ الصديقِ رضى الله عنه . ويقال إنه تُوفى فيها .

قال المراغى : إن هذه الدارَ فى زمنه كانت مدرسةً للأَحناف بناها يازكوج أَحدُ أَمراءِ الشام ، ونُقل ودُفن فيها . وطريقُ البقيع كان بينها وبين دار عثمان ، وكان الطريقُ آنذاك سبعةَ أَذرع . ونلفت نظرَ القارىء إلى أَن المراغى صاحبَ كتاب تحقيق النصرة من أَهل القرن التاسع الهجرى . أَمّا بعد ذلك فمدرسةُ الأَحناف تُعرف بزاوية السمان ، غيرَ أَن هذه الزاويةَ هُدمت مع دار رَيطة آنفةِ الذكر وما حولها فى توسيع المسجد النبوى فى العهد السعودى الحاضر .



والبابُ الخامس يقابل دارَ أَسماءَ ابنةِ الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه . وكانت هذه الدارُ من جملة دار جبلة بن عمرو الأَنصارى الساعدى، ثم صارت لأَسماءَ المذكورة، وهى الآن رباط النساءِ ، أَى فى زمن المراغى . ثم قال المراغى : قد سُد هذا البابُ عند تجديد الحائط الشرقى سنة ٥٨٩ هـ أَيامَ الإِمام الناصر لدين الله لمّا جدده من المنارة الشرقية الشمالية إلى هذا الباب .

والباب السادس بابٌ يقابل دارَ خالد بن الوليد رضى الله عنه . والدارُ المذكورة عُرفت فيما بعدُ برباط السبيل ، ورباط الرجال .

والباب السابعُ يقابل زقاقَ المناصع الذى عُرف فيما بعدُ بزقاق البدور ، نسبةً إلى الشريف بدر بن فايد الموسوى الحسينى . وزقاقُ البدور كان ملاصقاً لمدرسة العلوم الشرعية القائمة حتى اليوم من الناحية الشرقية الشمالية بالنسبة للمسجد النبوى الشريف . أَما زقاقُ البدور فهو ضمنُ الشارع الواسع المعلوم الذى يبتدئُ من باب الملك سعود رحمه الله . وكان بزقاق المناصع دارٌ للحسن بن على العسكرى وبقى إلى القرن التاسع . قاله المراغى .

والباب الثامن ، بابُ مروانَ بن الحكم وكانت دارُه تقابله من

المغرب وهو بابُ السلام . ومن جهة المغرب ثمانية أَبواب . ويظهرُ أَن هذه الأَبوابَ صغارٌ ، شبهُ خوخات ، لأَن المسجدَ لا يتحمل كثرةَ هذه الأَبوابِ لصغره حينئذ .

(فراغ عمال الوليد من بناء المسجد)

وكان فراغُ عمالِ الوليد مِن عمل الزيادة بالمسجد النبوى سنة إحدى وتسعين من الهجرة . وبقى بعد هذه الزيادة والعمارة على حاله إلى أَن تولىّ الأَمرَ المهدىُّ بنُ أَبى جعفر المنصور سنة ١٦٠ ﻫ . وفى تلك السنة حجّ المهدى وقدِم المدينةَ بعد حجه ، واستعملَ على المدينة جعفرَ بنَ سليمان .

زيادة المهدى تحت إشراف أمير المدينة ابن سليمان

كان أَمرُ المهدى بالزيادة المذكورة محصوراً فى ناحية المسجد الشمالية حيث صحنُه المعروفُ بالحصوة . وكانت الزيادةُ فى هذه الناحية فسيحةً بلغت نحوَ الثلث من مساحة المسجد كله . وأُحيطت بأَروقةٍ من العُمد والقبابِ من طراز ما صَنع الوليد . أَما فيما عدا هذه الزيادةَ فقد اقتصر عاملُ المهدى على التعمير المذكور والتجميل

متخذاً طرازَ الوليد أمامه ، متأَثراً فى الفن بفكرةٍ كفكرته . وكان الفراغُ من عمل المهدى فى المسجد النبوى المذكور سنة خمس وستين ومئة .

المأمون والمسجد النبوى

وقيل إن المأْمونَ زاد فيه وأَتقن بنيانَه ، وكان ذلك فى سنة ٢٠٢ من الهجرة . وقال السهيلى ما معناه أَن المأْمون جدده ولم يزدْ فيه . واللهُ أَعلم .

حريق المسجد النبوى فى المرة الأولى

وفى سنة أَربع وخمسين وستمئة تُرك مَوْقِدُ المصابيح مُشعلاً فى مخازن المسجد النبوى فامتدت النار منه إلى ما حوله ، وتعلقتْ بحُصرٍ وبسطٍ وأَقفاص قصبٍ كانت فى المخزن ، فامتد اللهبُ إلى سقف المسجد ، وامتدت النارُ منه إلى المسجد كله فلم تُبق منه على خشبة واحدة .

وكان أَمير المدينة آنذاك الأَمير منيف بن شيحة الحسينى فأقبلَ ومعه معظم أَهل المدينة ليطفئوا الحريق المذكور ، فلم يقدروا على ذلك . ولم يَسلم من هذا الحريق سوى قبةٍ كانت بصحن المسجد

عُملت فى القرن السادس الهجرى لحفظ ذخائر الحرم ، مثل المصحف العثمانى وبعض صناديقَ أودعت فيها هذه الذخائر . أَما عُمد المسجد فبقيت قائمةً كأَنها جذوعُ النخل تمايلُ إذا هبت الريح . وذاب الرصاصُ من بعض الأَساطين فسقطتْ .

المستعصم وأمير المدينة

فكتب أَميرُ المدينة إلى المستعصم بالخبر فاهتمّ المستعصمُ بذلك، وأَرسل الآلاتِ مع الصّناع ولم يُبد رأياً فيما يصنعون ، فقد كان مهتماً بصدّ التتار عن بغدادَ بعد أَن استولَوْا على أعمالها . لذلك اضطرب الصُّناع الذين بعثهم المستعصم ، وكذلك أَهلُ المدينة ، واختلفوا ما يصنعون فى الحجرة ، هل يَذَرون ما سقط فيها أَو يرفعونه جميعا حتى يبلغوا سطح الأَرض إلى التراب الذى فوق القبر الشريف . وقد انتهى رأْيُهم إلى تَرْكِ ما سقط مهابةً لساكن الحجرة صلواتُ الله وسلامه عليه . قال السمهودى : إن الواجبَ فى سلوك الأَدب مع النبي العظيم هو إزالة ذلك عن قبره الشريف .

اشتراك الملك المنصور مع المستعصم

واشترك الملكُ المنصور نورُ الدين على بن الملك المعز عز الدين

أَيبك الصالحى بأَن أَرسل زيادةً من المؤن . واشترك أَيضاً صاحبُ اليمن الملكُ المظفر شمس الدين يوسف بن منصور بإرساله الأَخشابَ. وقام أَهلُ المدينة بإشراف الأَمير منيف بن شيحة الحسينى يعملون فى المسجد بما يستطيعون القيامَ به . وفى أَثناء ذلك تمّ استيلاءُ التتار على بغدادَ وقتلوا المستعصم . ثم عُزل صاحبُ مصر ، وقام فيها مملوك ابن الملك المظفر سيف الدين قُطُز المعزى ، وقُتل هذا فيما دون السنة من ولايته .

وكان لهذه الأَحداث المتتالية أَثر واضح فى عمارة المسجد النبوى. فكانت العمارةُ تتقدم حيناً وتتأَخرُ، وتسير على غير خطةٍ مرسومة، واستمر الإبطاء فى هذه العمارة ستَّ سنوات ، أَى إلى سنة ٦٦٠ .

إتمام الملك بيبرس عمارة المسجد النبوى

لما تَولى الملكُ الظاهر بيبرس البندقدارى أَمْرَ مصر ، وكان ذلك فى سنة (٦٦٠) من الهجرة جَهز الأَخشاب ، والحديد ، والرصاص ، وجهز الصناعَ وما يمونهم ، وأَرسلهم بذلك كلّه إلى المدينة ، وصار يمدّهم بما يحتاجون إليه من الآلاتِ والنفقات حتى أَتموا المسجدَ كما كان قبل الحريق . ولم يَزلْ على الإصلاح المذكور إلى أَوائلِ دولةِ الملك الناصر محمد بن الملكِ المنصور بن قلاوون الصالحى .

إصلاح الملك الناصر محمد بن قلاوون للمسجد النبوى

ففى سنة (٧٠٥) من الهجرة أَمر الملك ابن قلاوون بزيادة السقف، وبقىَ المسجدُ على الإِصلاح المذكور إلى سنة (٨٣١) ، ثم طرأَ خللٌ على زيادة ابن قلاوون فأَمر الملكُ الأَشرفُ برسباى بإِصلاح ما حصل من خراب .

وفى سنة (٨٥٣) جدد الطاهر جقمق بعض سقف المسجد . ثم فى سنة (٨٧٩) قام الملك الأَشرف قايتباى بعمارةٍ تناولتْ بعضَ سقفِ المسجِد النبوى وعُمدِه وجدرانه ومآذنه .

حريق المسجد للمرة الثانية

وفى سنة (٨٨٦) مِن الهجرة انقضَّتْ صاعقةٌ على مئذنة المسجد الرئيسية ، وانتقلت النارُ من المئذنة إلى سقفِ المسجد فالتهمته وتخطّتْه إلى المسجد فتهدمت جدرانُه ، وتداعتْ أَكثرُ أَساطينه ، واحترقت المقصورةُ والكتبُ والمصاحفُ ، ولم يَسْلم من الحريق إلا الحجرةُ النبويةُ والقبةُ التى بالصحن . الأَمر الذى كان سبباً لعدم وجود تلك العمارات السابقة .

إصلاح ما أحدثه الحريق بأمر الملك قايتباى وتحت إشراف سنقر الجمالى

لمّا بلغ خبرُ الحريق الملكَ الأَشرف قايتباى بمصرَ وَجَّه الأَميرَ

سنقر الجمالى إلى المدينة ومعه مئة صانعٍ وما يلزم للعمارة . فبدأُوا بالمئذنة ، ووسّعوا المحرابَ العثمانى ، وجعلوا فوقه قبةً أَقاموها على رؤوس الأَساطين التى حوله .

وجعلوا على جُدر الحجرةِ النبوية وفوق السقف الذى كان عليها قبةً شادوا فوقها قبةً أَخرى أُقيمت على الأَساطين والدعائم التى زخرفوها . وبنَوْا بابَ السلام بالرخام الأَسود والأَبيض .وزخرفوه كما زخرفوا محراباً مجوفاً للرسول صلى الله عليه وسلم . وكان ذلك فى دعامةٍ أَقاموها بين المنبر والقبر على حد مسجده الأَصلى . وزخرفوا هذا المحرابَ بالرّخام الملون ، وأَعادوا ما سوى ذلك مِن بناءِ المسجد على صورةٍ تـأَنقوا فيها غايةَ التـأَنق . ويلاحظ أَن فى ظاهر محراب النبي صلى الله عليه وسلم بلاطةً مكتوباً عليها ما هو آتٍ « أَمر بعمارةِ هذا المحراب الشريف العبدُ الفقيرُ المقر بالتقصير مولانا السلطان الملك الأَشرف قايتباى خلَّد الله ملكه » . وتاريخُها فى سنة ٨٨٨ هـ . وهى باقيةُ حتى اليوم ، واستمر الإِصلاح الذى للسلطان قايتباى إلى سنة ٩٨٠ من الهجرة ، وقد أَنفقَ الملكُ قايتباى على العمارة المذكورة نحو ستين أَلفاً من الجنيهات . ويلاحظ أَن قايتباى هو الذى عمر المقصورة وأَدار عليها الشبك الحديد . وكان تمامُ ذلك سنة ٨٨٦ . « تراجع ص ٤٥ من تاريخ مكة للعصامى » .

السلطان سليم الثانى ابن السلطان سليمان والمسجد النبوى

وفى سنة ثمانين وتسعمئة من الهجرة عمّره السلطانُ سليم الثانى وشيَّد به محراباً جميلاً . ويُسمى هذا المحرابُ السليمانىَّ . وقد زَين هذا المحرابَ بالفسيفساءَ المنقوشةِ بماءِ الذهب ، وكَتب اسمَ والده على ظاهره بخط الثلث الجميل ، ويلاحظ أَن بناءَ المحراب فى زمن سليم الثانى ، والنقش عليه باسم السلطان سليمان . وظاهر من ذلك أَن ابتداءَ عمارةِ المسجد كان فى زمن السلطان سليمان وبأَمره . ولذلك أَحبّ ابنُه السلطانُ سليمان أَن يُخلِّد اسمَ والده بالكتابة على هذا البلاط فى هذا المكان المقدس .

إيضاحات داخل المسجد النبوى

أَورد المراغى فى كتابه تحقيق النصرة وهو من أَهل القرن التاسع الهجرى أَن طولَ منائره خمسةٌ وخمسون ذراعاً ، وعرضها ثمانيةُ أَذرع ، وأَن طولَ المسجد بعد الزيادات كلِّها مئتا ذراع وأَربع وخمسون ذراعاً ، وعرضه مِن مقدّمه من المشرق مئة وسبعون ذراعاً ، وعرضه مِن مؤخره مئة ذراع وخمس وثلاثون ذراعاً . وذكر محمدُ بن الحسن ما يقرب من هذا ، أَو مثله ، لاختلاف الأَذرعة . وكل ذلك بذراع اليد المتوسطة . قاله المراغى .

الأساطين بالروضة

منها الأُسطوانة المُخَلَّقة ، وهى التى صلى إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهذه الأُسطوانةُ هى الثالثة من المنبر ، والثانية من القبلة ، والثالثة من القبر الشريف ، والثالثة من رُحبة المسجد قبل زيادة الرواقين المستجدين فى القبلة ، وبها صارت خامسة من الرحبة اليوم . قاله المراغى .

وهى متوسطةٌ فى الروضة وتعرف باسطوانة المهاجرين ، لأَن أَكابِرَ الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يُصَلُّون إليها ويجلسون حولَها . وتُسمى أُسطوانةَ عائشة رضى الله عنها .

ومنها أَسطوانة التوبة التى رَبطَ نفسَه فيها أَبو لبابةَ بشيرُ بن عبد المنذر الأَنصارى .

ونقل ابن زبالة أَن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلى نوافله إليها . وفى روايةٍ : أَكثرَ نوافله إليها .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا صلى الصبحَ انصرف إليها وقد سبقه إليها الضعفاءُ والمساكين وأَهلُ الضر وضيفانُ النبي والمؤلفةُ قلوبُهم ومَن لا مبيتَ له إلا المسجد . فينصرف إليهم صلوات الله وسلامه عليه من مصلاه . فيتلو ما أَنزل اللهُ عليه مِن ليلته ويحدثُهم الحديث . ونَقل أَهلُ السِّير أَن الرسولَ الكريم إذا اعتكف فى رمضان

طُرِح فراشه ووُضع له سريرٌ وراء أُسطوانة التوبة . قال المراغى : واعلمْ أنها الثانية من القبر الشريف ، والثالثةُ من القبلة ، والرابعة من المنبر . والخامسةُ من رحبة المسجد .

وخَلْفها مِن جهة الشمال أُسطوانةُ أَمير المؤمنين الإمام على بن أَبى طالب رضى الله عنه ، وتُعرف بالمحرس ، لأَنه كان يجلس إليها مما يلى البابَ لحراسة النبي صلى الله عليه وسلم . وهى مقابلة للخوخةِ التى كان رسول الله يخرج منها من بيت عائشةَ أُم المؤمنين إلى الروضة الشريفة للصلاة . وخلفها أَيضا من جهة الشمال أُسطوانةُ الوفود . وكان رسولُ الله صلواتُ الله وسلامه عليه يجلس إليها لوفود العرب إذا جاءَتْه وكانت مما يلى رُحبةَ المسجد .

وكانت تُعرف بمجلس القلادة . يَجلس إليها سَراةُ الصحابة ، أَى أَشرافهم وأَكابرهم رضوانُ الله عليهم .

خبر الجذع

عن أَنس بن مالك أَن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخطب إلى جذعٍ فلمّا اتخذ المنبرَ ذهب إلى المنبر فحنّ الجذع ، فأَتاه فاحتضنه فسكن ، فقال لو لم أَحتضنْه [يعنى الجذع] لَحَنَّ إلى يوم القيامة[١] .

---

(١) سنن ابن ماجة ، ج ١ ص ٤٥٤ . وخبر الجذع مروى بأسانيد كثيرة كلها صحاح . انظر تعليق الشيخ أحمد محمد شاكر عليه فى المسند ج ٤ ص ٥٦ ، (المعارف) .

وجاءَ فى مسند أحمد مِن حديث سهل بن سعدٍ أنه قيل لسعد: هل كان مِن شأْن الجذع مايقول الناسُ ؟ قال: «قد كان منه الذى كان»[1] .

ومَن أراد الاستيعابَ فى أمر الجذع فعليه بتواريخ المدينة والكتبِ الصِّحاح المطولة . أما مكانُ الجذع فهو يمين مصلَّى النبى لاصقاً بجدار المسجد . قال المراغى : فى موضع الشمعة اليمنى التى تُوضع مقامَ النبي صلى الله عليه وسلم . أمّا ماآل إليه أمرُ الجذع فقد قال المراغى إنه بقى محلَّه وفى سنة (٧٠١) جاور الصاحب زين الدين المعروف بابن حنا ، وأمر بقلع الجذع ، ووُضع فى مخزن المسجد النبوى .

الكلام فى المنبر

كان مبدأُ عملِ المنبر فى السنة الثامنةِ من الهجرة . وكان أولَ ما عُمل مِنْ طَرْفاءِ الغابة التى بشمال المدينة ، كما فى الصحاح[2] . وأنّ امرأَةً أنصاريةً أَمَرت غلامَها بصنعه . وقيل بل صَنَعه غلامُ العباسِ بن عبد المطلب . وقيل عمِلَه تميمٌ الدارى .

وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يجلُس على المجلس منه ويضعُ رجليه على الدرجة الثانية . فلمّا ولىَ أبو بكر الخلافةَ نَزل عن مجلس النبي درجة . فلمّا تولَّى عمرُ نزلَ عن مكان أَبى بكر درجةً . وتبعهما عثمانُ سنةً ، ثم علا إلى المكان الذى كان يجلسُ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) ج ٥ ص ٣٣٥ ، (الميمنية) .
(٢) انظر البخارى ، كتاب الهبة ، باب من استوهب من أصحابه شيئاً ، ج ٣ ص ٢٠١ .

أَولُ مَن كسى المنبرَ النبوىّ الخليفةُ عثمانُ بن عفان رضى الله عنه . كساء يُقال له قبطية ، وهى ثيابٌ رِقاق من عمل مصر .

وكان طولُ المنبر ذراعين فى السماء وثلاثة أَصابع ، وعرضُه ذراعاً ، وطولُ صدره وهو مُستَنَدُ النبي صلى الله عليه وسلم ذراعاً .

وكانت له رمانتان يمسكُهما رسولُ الله بيديه الكريمتين . وعدد درجاتُه ثلاثة بالمقعد . وفيه خمسةُ أَعوادٍ من جوانبه الثلاثة . وكان بعد ذلك الخلفاء يرسلون فى كل سنةٍ ثوباً من الحرير الأَسود له علمٌ ذهب لكسوة المنبر .

ولما كثرت الكسوةُ عندهم جعلوها ستوراً على أَبواب الحرم النبوى يضعونها عليه فى المناسبات .

ثم بَعْد قَتْل المعتصم استمرت تُعْمل فى مصر . ثم بعد سنةِ (٧٥٠) من الهجرة اشتُريت قريةٌ مِن بيت مال المسلمين ووُقفت على كُسوة الكعبة والمنبر والحجرة النبوية ، فهى تأْتى فى كلّ سنةٍ من هناك .

دار الكسوة السعودية

مِن بضْع سنواتٍ قامت الحكومةُ السعودية بإقامة مصنع كسوةٍ للكعبة المشرفة . ومكانُ هذا المصنع مكة المكرمة شرّفها الله ، وجَزى عاهليها خيرَ الجزاء ، لخدمتهم الأَماكنَ المقدسة وإظهارِها بالمظهر اللائق أمام حجيج بيتِ الله الحرام .

عود إلى الكلام عن المنبر

زاد مروانُ بن الحكم المنبرَ فى زمن إمارته على المدينة بأمْر معاويةَ بن أبى سفيان، ورَفَعه عن الأَرض. وكانت زيادتُه ستَّ درجات.

إلا أن الثلاثةَ العُليا هى أصلُ منبر النبى صلى الله عليه وسلم. وفكّر مروانُ فى نقله إلى معاوية بالشام فكَسفت الشمسُ حتى رُؤيت النجوم وأظلمت المدينةُ وأصابتْهم ريحٌ شديدة. هكذا جاءَ عن المراغى، عن ابن زُبَالة. والله أعلم.

وكان المنبرُ فى زمن المطرى فى القرن السابع ثلاثةَ أذْرعٍ وشبراً وثلاثةَ أَصابع. ومن رأسه إلى عتبتة خمسةَ أذرع وشبراً وأَربعَ أصابع. قال المراغى: وقد زيد فيه اليومَ، أى فى القرن التاسع، عتبتان، وجُعل عليه بابٌ يُفتح يومَ الجمعة. قلتُ: ووجودُ هذا البابِ مستمرٌّ حتى تاريخِ تأليف كتابى هذا سنة ١٣٩٤ هـ. وبالطبع يُفتح لخُطب الجمعة والأَعياد والمناسبات الدينية.

فضل المنبر الشريف

جاءَ فى مُسند الإمام أحمد من حديث سهل بن سعد أَنه سَمع رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول: «منبرى على تُرعةٍ من تُرع الجنة، فقلتُ له: ما الترعةُ يا أَبا العباس؟ قال: الباب»[١].

وروى أبو داود من حديث جابر بن عبد الله الأَنصارى رضى

(١) ج ٥ ص ٣٣٥، (الميمنية).

الله عنهما أَن رسول الله قال : « لا يَحْلِفُ أَحدٌ عند منبرى هذا على يمينٍ آثمةٍ ، ولو على سواكٍ أَخضرَ ، إلا تَبوّأَ مقعدَه من النار »[١] .

تاريخ القبة على الحجرة المقدسة

جاءَ عن المراغى أَنه لم يكن قبلَ حريق المسجدو بعده على الحجرة النبوية قبةٌ ، بل كان ما حولَ حجرةِ النبى صلى الله عليه وسلم من السطح مقدارُ نصفِ قامة مبنىّ بالآجرّ تمييزاً للحجرة النبوية على غيرها ، إلى سنة ٦٧٨هـ . فأَولُ مَن قام بعمل القبة الملكُ المنصور ابن قلاوون الصالحى رحمه الله . أَمّا شكلُها الهندسى فقد كانت مربعةً من أَسفلها ، مثمنةً مِن أَعلاها . وقد جُددت فى زمن الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون . ثم جُددت وأُحكمت فى أَيام الملك الأَشرف شعبان بن حسين بن محمد . وكان ذلك سنة ٧٦٥ من الهجرة . وفى سنة ١٢٣٢ هـ جَددها السلطانُ محمود ، ثم فى سنة ١٢٥٥هـ أَمَر بترميمها ، ودُهنت باللون الأَخضر .

صــفة تجــديدها

جاءَ فى المراغى قال : أُقيمت الأَخشابُ وسُمر عليها أَلواحٌ من خشب . ومن فوقها أَلواحُ الرصاص . وعُمل مكان الآجور[٢] شباكٌ من خشب ، وتحته بين السقفين أَلواحٌ ، وسُمر عليها ثوبٌ مشمع ، وفيها طابقٌ مقفل إذا فُتح كان النزولُ منه ما بين حائط بيت النبى

(١) سنن أبى داود ج ٣ ص ٢٢٢ .

(٢) هو ، الآجر فارسى معرب .

صلى الله عليه وسلم وبين الحائط الذى بناه عمرُ بنُ عبد العزيز . لأَن أُمَّ المؤمنين عائشةَ رضى الله عنها قد بنتْ حائطاً بينها وبين القبور بعد دفْن عمرَ بن الخطاب فى الحجرة وقالت إنما كان أَبى وزوجى . وتحفظت فى لباسها إلى أَن بنتْ الحائطَ المذكور . وبذلك كانت فى بقية البيت من الجهة الشمالية وفيه بابُ البيت ، لأَن بيتَ النبي صلوات الله وسلامه عليه كان له بابان أَحدُهما من جهة الشام والثانى من جهة المغرب .

الدخول إلى بيت النبي الكريم الذى دفن فيه جسده الطاهر وبعــده أبو بكر وعمر

جاءَ فى المراغى أَنه بعد موتِ أُم المؤمنين عائشةَ لم يدخلْ أَحدٌ بيتَ النبي عند القبر الشريف . إلا ما حكاه ابن زبالة وتبعه ابن النجار من أَن جدار الحجرة النبوية الشريفة سقط فى زمنِ عمرَ بنِ عبد العزيز ، وظهرت القبورُ فتذكّر أَهلُ المدينةِ رسول الله فما رُئى بكاءٌ أَكثرُ منه فى ذلك اليوم .

وأَمرَ عمرُ بنُ عبد العزيز أَحدَ خُدامه واسمُه ابن وردان أَن يكشفَ عن الأَساس ، فبينما هو يكشفُ رَفع يدَه وتنحّى واجماً ، فقام عمرُ بنُ عبد العزيز فزِعاً فرأَى قدمين وراءَ الأَساس عليهما الشعر . فقال عبيدُ الله بن عبد الله بن عمر وكان حاضراً لا يرعْكَ فهما قدما عمرَ بن الخطاب ، ضاق البيتُ فحفروا له الأَساس . فقال عمرُ :

يا ابنَ وردان غطِّ ما رأَيت . ففَعل . ولمّا فرغوا منه ورفعوه دخل مزاحم مولى عُمرَ من كوةٍ جُعلت فيه فقَمَّ ما سقط على القبر من الطين والتراب. فكان عمرُ بن عبدالعزيز يتمنى أَن لو كان تولىّ ذلك بنفسه .

ثم فى سنة ٥٤٨ هـ كما حكاه ابنُ النجار سُمع من داخل الحجرة هدة . وكان أَميرَ المدينة القاسمُ بن مهنا الحسينى . وكان من العلماءِ الأَجلاء . فذكر له ذلك ، فأَبدى رأْيه بأَن لا ينزلَ إلى الحجرة إلا شخصٌ مِن أَهل الدين . وكان فى ذلك الحين لا يوجد أَمثلُ حالاً من الشيخ عمر النسائى وهو شيخٌ من شيوخ الصوفية بالموصل. وتصادف أَنه بالمدينة ، فكلفه الأَميرُ القاسم بالنزول ليكشف عما طرأَ ويعرف ممَّ هذه الهدة التى سُمعت . فامتنع الشيخ عن ذلك ، واعتذر بمرض كان به يحتاج معه إلى الوضوء فى غالب الوقت ، فأَلزمه الأَمير القاسم فنزل من بين السقفين من الطابق المذكور ومعه شمعةٌ يستضىءُ بها ومشى إلى باب البيت ودخل من الباب إلى القبر المقدس ، فرأَى شيئاً من الردم ، إمّا مِن السقف أَو من الحيطان ، قد وقع إلى القبور فأَزاله وكنس ما عليه من التراب .

ثم حصل فى زمن الأَمير القاسم بن مهنا المذكور أَن رائحةً غير حسنة خرجتْ من داخل الحجرة . فذكروا ذلك للقاسم فأَمر الطواشى بيان أَحدَ خُدام الحجرة النبوية بالنزول فامتثل ونزل معه الصفى الموصلى متولى عمارة المسجد ونزل معهما الشاذلى الصوفى .

وبعد الكشف وجدوا هرا ميتا قد سَقط من الشباك الذى فى أعلى الحائط بين الحائط وبيتِ النبي صلى الله عليه وسلم فأَخرجوه وطيّبوا مكانه. وكان نزولهُم يومَ السبت حادى عشر ربيع الآخر سنة ٥٥٤ﻫ .

ثم قال ابنُ النجار ومن ذلك التاريخ لم ينزل أَحد هناك واستمر عدم النزول إلى الحجرة إلى القرن التاسع الهجرى . أَمّا دخولُ السلاطين والملوك والأُمراءِ فى الأَزمنة الأَخيرة حتى اليوم فإنما هو للمواجهة من داخل الشباك الحديد . أَما القبرُ الشريف وقبرا صاحبيه فلا يراهم أَحدٌ ، حيث أَن الحجرةَ النبوية محيطة بالقبر الشريف ومن معه بدون خوخة ولا باب ، مع ملاحظة أَنها ليست مسقفة . أَما القبةُ التى على الحجرة فإن قوائمها مستندةٌ على الجدار الخارجى وعلى الحوائط الخارجية التى عَملتْها الدولةُ العثمانية تدعيماً للجدار القديم .

الملك الظاهر والحجرة

لما حجّ الملكُ الظاهرُ سنة ٦٦٧ ﻫ أَراد أَن يَجعلَ على الحجرةِ دَرَبْزِيناً من خشب فقاس ما حولها بِيَدِهِ بحبالٍ وحَمَلَها معه فلما كانت سنةُ ثمان وستين أَرسل الدرابزَين إلى المدينة وأُدير عليها وعَمِلَ له ثلاثةَ أَبوابٍ قِبْليًّا وشَرْقِيًّا وغَرْبِيًّا ونُصِبَ بين الأَسَاطِينِ التى تَلِي الحُجْرة إلا مَن ناحيةِ الشامِ فإنه زَادَ فيه إلى مُتَهَجَّدِ النبى صلى الله عليه وآله وسلم .

أَما الدَّرَابْزِينُ الموجودُ اليومَ من الحديدِ على الحُجْرةِ النبويةِ

وبيتِ السيدة فاطمةَ الزهراءِ بنتِ محمدٍ صلوات الله وسلامه عليه فإنما هو من صنع العمارة التى للسلطان عبد المجيد رحمه الله .

تجديد بناء المسجد النبوى فى زمن السلطان عبد المجيد وتحت إشراف داود باشا

لَمَّا تَوَلَّى دَاوُدُ باشا منصبَ الباشوية بالْمدينةِ ورئاسةَ الحَرَمِ المدنىّ معاً رأى تَصَدُّعاتٍ كثيرةً بالمسجدِ النبوى فكتبَ بذلك إلى السلطانِ عبدِ المجيدِ وذكر له أَن المسجدَ النبوى قد مضى على عِمَارَتِهِ أَربعةُ قرونٍ ولم تحدثْ به أَثناءها عمارةٌ هامةٌ حتى آل كثيرٌ منه إلى الخراب.

والذى يَظْهَر أَنَّ سببَ كتابته للسلطان هو ما جَاءَ فى التُّحْفَةِ اللَّطِيفَةِ فى عمارة المسجد النبوى من أَنَّ إحدَى قُبَبِ المواجهةِ سَقَطَتْ على بعضِ الواقِفِينَ للزيارةِ فَقَضَتْ عليهم فكانت هذه الواقعةُ مع وجودِ بقيةِ الخَرابِ حافزةً على الكتابةِ المذكورةِ . فَأَرْسَلَ السلطانُ عبدُ المجيدِ مِنْ قِبَلِهِ مَنْ كشَفَ على المسجدِ وعَرَفَ حقيقَةَ حَالِهِ فعند ذلك أَمَرَ بهدمِهِ وتَجْدِيدِ عِمَارَتِهِ .

الاهتمام بالمحافظة على أمكنة المسجد الأثرية

قامَ المهندسونَ يَهْدِمُونَ جُزْءًا من المسجدِ ويُقِيمُونَ مَكَانَهُ ما يَحِلُّ ثم يَهْدِمُون بعد ذلك غَيْرَهُ ويُعِيدُونَ تَشْيِيدَهُ حتى أَتمّوا عِمَارَةَ المسجدِ كله فيما بين سنةِ ١٢٦٥ و ١٢٧٧ هـ وقَدْ تناوَلَتْ هذه العمارةُ المسجدَ بأَجمَعِهِ ما عدا المقصورةَ وما فيها . وبدقتهم الأَثَرِيَّةِ ظلّ

كلُّ أَثَرٍ فى المسجد باقيًا على عَهْدِهِ مثبتًا فى مَكَانِهِ . فقبلة المسجد النبوى الأَثرى مكتوبٌ على محرابِها هذا مصلى النبىِّ . والروضةُ المطهرةُ معلمةٌ أَساطينُهَا بالبلاطِ الأَبيضِ من النصفِ الأَدْنَى . كما أَن الاسطواناتِ التى تحملُ الأَسهمَ الخُضْرَ الملونة بماءِ الذهب هى حدودُ المسجدِ النبوى للبناءِ الأَولِ الذى بناه النبى صلى اللهعليه وسلم. أَما الأَعمدةُ التى تحمل اللونَ الوردىَّ والمكتوبُ أَعلاها بماءِ الذهبِ هنا حدودُ المسجدِ النبوى فهذه الحدودُ تحتوى البناءَ الثانى الذى بناهُ رسولُ الله أَيضاً وزاد به فى المسجد فى المرة الثانية بعد فتح خيبر كما بيناه سابقاً . ويُلَاحَظُ أَنَّ هذه الكتابةَ لحدودِ المسجدِ من جَميع نَوَاحِيهِ ما عدا الناحيةَ الشماليةَ أَعنى مكانَ الحصباءِ الملاصقةِ آخر المسجدِ العُثْمَانى فإِنه لمْ يُكْتَبْ شَىْءٌ من تلك الجهة لأَنه فى زيادةِ الوليد تركوا جُزْءًا من حدودِ المسجدِ توسعةً للرحبةِ التى فرِشَتْ بالحصباء .

كما أَنَّ المقصورةَ التى تحتوى الحجرةَ النبويةَ — وبجوارها دارُ السيدةِ فاطمةَ الزهراءِ رضوانُ الله عَلَيْها ، يَحْوى الجميعَ الدرابزينُ الحديدىُّ — كما هى حتى اليومِ . ويُلاحظُ أَنَّ هناك ثلاثةَ أَبوابٍ . باباً من الجهةِ الغربيةِ وهو مفتوحٌ على الروضةِ والثانى من الناحيةِ الشرقيةِ وهو البابُ الذى يُدْخَلُ منه لِلْمُقَابَلَةِ الشَّرِيفَةِ من الداخل، ويسمى بابَ الزَّهْرَاءِ . قال علىُّبن موسى أَفندى فى رسالته المسماة « وصف

المدينة » : وكان مِنْهُ الدُّخولُ صباحاً ومساءً لِخدْمَةِ الحُجْرَةِ النبويةِ .
قُلْتُ : وذلك مُسْتَمِرٌّ حتى يَوْمِنَا هذا سنة ١٣٩٣ هـ .

كما أَنَّ الاسطواناتِ التى صَلَّى عِنْدَهَا النبيُّ صلى الله عليه وسلم معلمَةٌ بالكتابةِ عَلَيْهَا، وَكَذَلكَ بَقِيَّةُ أسطواناتِ المسجدِ كُلُّ شىءٍ مُبَيَّنٌ عَلَيْهِ مَكَانَتَهُ الأَثَرِيَّةُ . كل ذلك بقى بفضلِ اللهِ ثُمَّ بمحافَظَة أُولى الأَمر عِنْدَ تجديدِهِمْ للبناءِ كما أَسْلَفْنَا جَزَاهُمُ الله خَيْرَ الجزاءِ .

أَما الزِّيَادَاتُ التى طَرَأَت على المسجدِ فى جميعِ أَطْوَارِهِ فَمَعْلُومَةٌ ظاهرةٌ لأَنها مخالفةٌ للمسجدِ الأَثرى فى الشكل ، كما أَنَّهَا معلومةٌ ظاهرةٌ عنْدَ الخاصِّ والعامِّ من أَهلِ المدينةِ مِمَّنْ كان من أَهل العِلْمِ أَو مُلاَزَمَةِ الحرمِ النبوى .

ومن المعلومِ عند العامِّ والخاصِّ بقاءُ هذا البناءِ المجيدى حتى يومِنَا هذا وهو كَأَنَّه بُنِيَ بالأَمْسِ، وذلك لصدق نية مُؤَسِّسِهِ رَحِمَهُ اللهُ ، ورحمَ الأَيدىَ التى عَمِلَتْ فيه .

ونلْفِتُ نظرَ القارىءِ الكريم إلى أَن تجديدَ السلطانِ عبدِ المجيدِ للمسجدِ النبوى كان عامًّا ، ما عدا الحجرةَ النبويةَ ودارَ الزهراءِ والمحاريبَ الثلاثةَ والمنبرَ الشريفَ ، فإن هذه الأَمكنةَ اكتُفِى بترمِيمِهَا .

المسجد النبوى والتوسعة السعودية
فى زمن جلالة الملك عبد العزيز رحمه الله[١]

وكما هو معلومٌ تسلمت الحكومةُ السعوديةُ المدينةَ سنة ١٣٤٤ من الهجرة وبعد أَربعِ سنواتٍ قامت بترميمِ المسجدِ السُّلطَانِى المجيدى أَى سنة ١٣٤٨ واستمرَّ المسجدُ على ذلك الإِصلاح إلى سنة ١٣٧٠ هـ.

فى هذه المدةِ كَثُرَ سُكَّانُ المدينةِ وتَوَسَّعَتْ ربُوعُهَا وازْدَادَ سُكَّانُهَا . وزيادة أخرى وهى ازدياد حُجَّاجِ بيتِ اللهِ الحرامِ وزُوَّارِ مسجدِ نَبِيِّهِ وذلك بفضلِ اللهِ ثُمَّ بِفَضْلِ تَوفُّرِ الأَمن ، ووسائلِ النقلِ السريعةِ من سياراتٍ وطائراتٍ وغيرِ ذلك من عواملِ النقلِ. لذلك أَصبحَ من الضرورى لهذا المسجدِ النبوى أَن يُوَسّع .

فَعِنْدَ ذَلِك اهْتَمَّتِ الحكومةُ السعوديةُ بتوسعةِ المسجدِ النَّبَوِى ليكونَ قَابلاً لمَا يَرُودُه من داخلِ المملكةِ وخارجِها . ورُفِعَ الاهتمامُ إلى حضرةِ صاحبِ الجلالةِ الملكِ عبدِ العزيزِ بنِ عبدِ الرحمنِ رحمَهُ اللهُ . فأَصدرَ أَمرَه الملكىَّ الكريمَ بأَخذِ ما حَوْلَ المسجدِ من دُورٍ وبتَعويضِ أَهلِهِ بأَثْمَانِهِ وبعدَ أَنْ تَمَّ أَخذُ ما يحتاجُه المشروعُ ابْتُدِىءَ العملُ وكان ذلك فى الخامس من شوال سنة ١٣٧٠هـ . ووَضع لبنةَ أَسَاسِها جلالةُ الملكِ سعود بن عبدِ العزيزِ رحمه الله وكُتِبَ ذلك على بلاطَةٍ فى أَساسِ المسجدِ من الناحيةِ الغربيةِ .

---

(١) وإمارة عبد الله بن سعد السديرى ، وبإشراف المعلم محمد بن لادن .

واستمرَّ العملُ خمسَ سنواتٍ على ساقٍ وقدمٍ أى إلى سنة ١٣٧٥هـ . وكانت هذه الزيادةُ والتوسعةُ كما هو مشاهدٌ متصلةً بالمسجدِ المجيدِى من جهَاتِهِ الثَّلاثِ .

إيضاح لهذه التوسعة الضخمة

قامت هذه التوسعةُ على٤٧٢ عمودٍ مربعٍ مُتَّصِل بجدارِ التوسعةِ ، و٢٤٢ عمودٍ مستديرٍ ، و١٢٨ مترٍ طولىّ للجدارِ الشرقىِّ ، و١٢٨ مترٍ طولىٍّ للجدارِ الغربىِّ ، ٩١ مترًا طوليًّا للجدارِ الشمالىِّ .

الأروقـــة

أَما الأَروقةُ الشماليةُ فعددُها خمسةٌ ، والأَروقةُ الشرقيةُ عددُها ثلاثةٌ ، والأَروقةُ الوسطَى عددها ثلاثةٌ ، والأَروقةُ الغربيةُ عددُها ثلاثةٌ . أَما رحبةُ هذه الزيادةِ فهى اثنتانِ .

وأَما عقودُ هذه الزيادةِ فهى ٦٨٩ عقدٍ من أَفْخَمِ العقودِ .

أَما نوافذُ هذه الزيادة فأَربعٌ وأَربعون .

أَما المآذنُ فى الزيادةِ فاثنتانِ . وفى كل مئذنة منهما أَربعُ شرفاتٍ ، وأَنا هنا أَتكلمُ عن مئذنتى المسجدِ المجيدى .

فالمنارةُ الرئيسيّةُ لها ثلاثُ شُرُفَاتٍ ، أَما منارةُ بابِ السلامِ فلها شرفتان .

أَما ارتفاعُ المآذن فى العمارة الحديثةِ السعوديةِ فارتفاعُ كلٍّ منهما سبعون متراً ، والعمق فى الأَساس لكلٍّ واحدةمنهما سبعةَ عَشَرَ مِتْرًا .

المَصَابِيحُ ، أَمَّا عددُ المصابيحِ التى ثُبِّتَتْ فى أَعْلَى الأَعْمِدَة فهى ١٠١١ مصباحاً .

وأَربعةَ عشَر أَلفَ مصباحٍ دائِرِىٌّ فىزَوَايَا العقودِ بِشَكْلٍ جَذَّابٍ .

تكاليف هذه الزيادة

أَما تكاليفُ هذه الزيادةِ حَسْبَ ما قَرَّرَهُ مديرُ عامٍّ مكتبِ التوسعةِ للمسجدِ النبوىِّ فضيلةُ الشيخِ مُحمد صالح قزاز وأَتى به الأُستاذ السيد على حافظ فى كتابه « فصول من تاريخ المدينة المنورة » ومثله « ظاهر البرهان فى تشييد العمران » فهى ثلاثون مليون ريال سعودى .

وأَما التعويضاتُ التى صُرفتْ لأَهل الدُّور التى احتاجتْها الزيادةُ المذكورةُ فمقدارُها أَربعون مليونَ ريال سعودى .

أبواب المسجد النبوى فى الوقت الحاضر

أَمّا أَبوابُ المسجدِ النبوىّ فى الوقتِ الحاضرِ فهىعَشَرَةُ أَبوابٍ : خمسةٌ منها فى عمارة السلطان عبد المجيد والخمسةُ الأُخرى فى عمارة الملك عبد العزيز ، رحم اللهُ الجميع .

أبواب العمارة المجيدية

(١) بابُ السلامِ ويَقَعُ فى ركنِ المسجدِ الغَرْبِىِّ (٢) بابُ الرحمةِ واسمُهُ كما تقدم باب عاتكةَ ومكانه فى الجهة الغربية . (٣) باب جبريل ويسمى بابَ عثمانَ وباب النبى ، ويقع فى جدار المسجد

النبوى الشرقى بعد حاجز الحجرة النبوية وفى شمالها الشرقى (٤) بابُ النساءِ ويقع فى جدارِ المسجدِ الشرقى ويأْتى بعد باب جبريلَ من الجهةِ الشماليةِ وبَيْنَهُمَا دكةُ الأَغوَاتِ ، ويأْتى بعدَهُ القِسْمُ المُخَصَّصُ للنساءِ من العمارةِ السعوديةِ (٥) بابُ الصِّدِّيقِ ويقالُ له خوخة أَبى بكر وهو من الجهةِ الغربيةِ .

أبواب العمارة السعودية

(٦) بابُ عبدِ العزيزِ رحمه الله ، ومكانُهُ بعدَ بابِ النِّسَاءِ فى الجدارِ الشرقىّ وهو عبارةٌ عن ثلاثةِ أَبوابٍ متجاورةٍ واسعةٍ وأَمامها الشارعُ المنطلقُ من غَرْبٍ إلىشرقٍ المسمى بشارعِ عبدِالعزيز .

(٧) بابُ عثمانَ ، ويَقَعُ فى ركنِ المسجدِ الشمالىّ وهو بابٌ واحدٌ وقد سُمِّىَ بهذا الاسمِ وعُرِفَ به .

(٨) بابُ المَجيدىّ نسبة إلى السلطانِ عبدِ المجيدِ . كان فى عِمَارَتِهِ قبلَ الزيادةِ السعوديةِ فَلَمَّا زِيدَ فى المسجدِ أَعيدَ اسمُ هذا البابِ فى الجهةِ التى كان بها فى العمارةِ السعوديةِ اعترافاً بالمآثر الخالدةِ للسلطانِ المذكور . ويقع بابُ المجيدى فى وَسْطِ الجِدَارِ الشَّمَالِى الشرقى .

(٩) بابُ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ ويقعُ فى ركنِ المسجدِ الشمالى الغربى .

(١٠) بابُ سعودٍ ويقعُ فى الحائطِ الغربىّ، ويتوسطُ هذا الجدارَ تقريباً. ومكانهُ بَعْدَ بابِ الرحمنِ، وهو عبارةٌ عن ثلاثةِ أبوابٍ واسعة.

بقية أعمال الحكومة السعودية فى العمارة المجيدية

فى سنة ١٣٩٢ قامتِ الحكومةُ السعوديةُ بترميمِ وتزيينِ المحرابِ النبوى ، والمحرابِ السُّلَيْمَانى ، والمنبرِ النبوى بماءِ الذهبِ بعد تَبْليطِ المحرابَيْنِ : الأَمرُ الذى أَعادَ لهذه الأَمكنةَ الأَثريةِ رَوْنَقَهَا.

أَما المحرابُ السُّلَيْمَانى فنسبةٌ إلى السلطانِ سُلَيْمَان ومما يجدرُ ذكرُه أَنَّ فى ظَهْرِ المحرابِ من الناحيةِ القبليةِ بلاطةٌ مكتوبٌ عَلَيْهَا ،ماهو آت :

« أَنشأَ هذا المحرابَ المباركَ الملكُ المظفَّرُ السلطانُ سليمانُ شاه ابن السلطانِ سليم خان بن السلطان بايزيد خان ، أَعز اللهُ أَنصارَهُ بمحمدٍ وآلِهِ تاريخ شهر جمادى الأَولى سنة ٩٠٨ هـ» .

وفى أَولِ شهرِ صَفَرَ سنةَ ١٣٩٣ هـ قامت الحكومةُ السعوديةُ بتبليطِ واجهةِ المسجدِ النبوى السلطانِىّ من الجهةِ القبليةِ والشرقيةِ بالبلاطِ الفخمِ حاملِ اللونِ الوردِىّ لِيُلائِمَ واجهةَ المسجدِ السلطانى فى الزيادة السعودية ، وليكونَ برونقٍ مُوَحَّدٍ رائعٍ ، وقد انتهى العملُ فيه فى نفسِ العامِ المذكورِ .

النية فى توسعة المسجد

أَما بالنسبةِ للزيادةِ فى توسعةِ المسجدِ مرةً أُخْرَى فالنيةُ معقودةٌ من ناحيةِ الحكومةِ السعوديةِ . —

ودلالةُ ذلك ظاهرةٌ فإنَّه فى آخر سنة ١٣٩٢ هـ أَخذت الحكومةُ الدُّورَ التى بجوارِ المسجدِ من الناحيةِ الغربيةِ وقدرتها لأَهلها . وفى شهر ربيع الثانى، سنة ١٣٩٣ هـ ابْتُدِئَ فى الهدم لنقل الأَنقاض ليبقى المكانُ جاهزًا لما يُرَادُ بِهِ . وكان من المقررِ لنقلِ الأَتربةِ وجميعِ ما فى هذا المكانِ من أَنقاضٍ ستةُ أَشهرٍ من ابتداء العمل ، ولكنَّ اهتمامَ الحكومةِ فى سرعةِ العملِ ليكونَ مكانُهُ نافعاً للصلاةِ بالنسبة لحجاج عام ١٣٩٣ ، وبملاحظةِ حسن أَحمد مهندس صاحبِ المؤسسةِ التى قامت بهذا العملِ ، انتهى نقلُ الترابِ والأَنقاضِ فى ثلاثةِ أَشهرٍ ، وانْتَفَعَ الحجاجُ بالصلاةِ فيه ، وهو اليومَ رحبةٌ واسعةٌ ضخمةٌ ، محاطةٌ بدرابزين من البناءِ وفيها عدة أَبواب لدخولِ المصلين ، كما جُعِلَ على المكانِ المذكورِ مظلاتٌ ضخمةٌ للاستفادةِ منها مؤقتاً . ويلاحظُ أَنَّ هذه التوسعةَ أَخذتْ أَكبرَ مساحةٍ منذ العهد النبوى حتى اليوم .

ومن المقدر أَنها ستكونُ أَضخمَ توسعةٍ إن شاءَ الله ، ولا شك .

وقد كلَّف نقلُ ترابها وأَنقاضها وما تبع هذا المبالغَ الطائلةَ على الحكومةِ السنيةِ ؛ لأَن مساحتَها أَربعون أَلفَ مترٍ مسطحٍ . وأَسأَل اللهَ أَن ينفع ثانىَ حَرَمَيْهِ فى جميعِ ما يحتاج إِليه بصاحبِ الجلالةِ الملك خالد بن عبد العزيز حَفِظَهُ الله ، وولى عهده سُمُوّ الأَمير فهدٍ ، وأَن يصلحَ بهما البلادَ والعبادَ آمين . ويلاحظ أَن

التوسعةَ المذكورةَ كانت بإشرافِ ماليةِ المدينةِ المنورةِ ورئيسِها الأخ محمد بن سليمان الحركان ، وصَلَّى اللهُ على سيدنا محمدٍ .

إيضـــاحات

كان أمامَ بابِ السلامِ من الناحيةِ اليُمنَى بالنسبةِ للخارجِ من المسجدِ النبوى المدرسةُ المحموديةُ . وكان بداخل هذه المدرسةِ مكتبةٌ مسماةٌ باسمِ المدرسةِ . وكانت المكتبةُ ملاصقةً لجدارِ الحرمِ وبها نوافذُ تُطِلُّ علىداخلِ الحرمِ النبوى ، فلما كانت التوسعةُ السعودية أخذتِ المدرسة المحموديةَ ضمنَ التوسعةِ ، غير أَنَّ الحكومةَ السعوديةَ قامت بتصميمِ المكتبةِ المحمودية فى نفسِ المحيطِ ، وذلك محافظةً منها على الأَثرِ القديمِ ، فشمل هذا التصميمُ الجديدُ طبقة علوية من الناحيةِ الغربيةِ نفسِها فوق بابِ أَو خوخة أَبى بكر الصديق رضى الله عنه .

أَما نسبةُ المكتبةِ المحموديةِ فإلى السلطانِ محمود العادل . وكان بهذه المكتبة كتبٌ أَثريةٌ واستمرت مكتبةً عامة للفائدة والاطلاع .

وفى سنة ١٣٩٣ نقلت محتوياتُ هذه المكتبةِ إلى البناءِ الجديدِ المكونِ من ثلاثةِ أَدوارٍ وهى بمكانِ المكتبةِ المسماةِ بمكتبةِ المدينةِ العامةِ ، وجُعلت محتوياتُ المكتبةِ المحموديةِ بالدور الثانى .

أَما بالنسبةِ لمكانِ المكتبةِ المحموديةِ فجُعل مُتحفاً للمصاحفِ

المخطوطةِ واللوحاتِ الجميلةِ . يحتوى بعضها على خطٍّ السلطانِ محمود العادل والسلطان عبد المجيد رحمهما الله .

أَما بالنسبةِ للبناء العُلْوِيِّ الذى على بابِ المجيدى بالحرمِ الجديدِ فَفِيه اليومَ مديريةُ الحرمِ النَّبوِىّ .

أَما البناءُ العُلوىُّ بالحرمِ الجديدِ ، والذى على بَابِ عُمَرَ ، والذى كان سابقاً مكتبة الحرمِ النبوىّ التى نُقلت هى أَيضاً إلى مكتبةِ المدينةِ العامّةِ آنفةِ الذكرِ وجُعلتْ بالدور الثالث ، فمكانُها اليوم مكتبٌ إدارىٌّ تابعٌ للحرمِ النبوىِّ الشريفِ .

كتبـه

الشريف أَحمد الحسينى

المدينة المنورة ، فى الثامن والعشرين من صفر سنة أَلف وثلاثمئة وثلاث وتسعين .

فهرس المراجع

صحيح البخارى ، مصورة دار الشعب عن الطبعة الأميرية .
صحيح مسلم ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى الحلبى ، سنة ١٣٧٤ هـ .
مسند الإمام أحمد ، دار المعارف ، وطبعة الميمنية .
سنن أبى داود ، دار إحياء السنة النبوية .
سنن ابن ماجة ، عيسى البابى الحلبى .
الحاوى للفتاوى ، للسيوطى ، مطبعة السعادة ، الطبعة الثانية ، ١٩٥٩ م .
تاريخ المدينة للشيخ محمد بن الحسن الأنصارى المطرى .
تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة ، للمراغى ، أبو بكر بن الحسين ابن عمر القرشى ، المراغى الشافعى .
وفاء الوفا ، للسمهودى .
خلاصة الوفاء ، للسمهودى .
عمدة الأخبار فى مدينة المختار ، للعباسى .
رسالة فى وصف المدينة ، للأفندى على موسى .
فى منزل الوحى ، لمحمد حسين هيكل ، دار الكتب المصرية ١٣٥٦ هـ .
فصول من تاريخ المدينة ، للسيد على حافظ .
الكامل فى التاريخ لابن الأثير الجزرى .
عمدة الطالب فى أنساب آل أبى طالب .